﴿۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ [لقمان: 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

فَضيلَةُ المُنْقادينَ إلى شَـرْعِ اللهِ سُبْحانَهُ

لَمّا ذكَر اللّهُ تَعالى مَن يُعْرِضُ عَنِ اتِّباع ما أنْزَلَهُ، ويُجادِلُ في اللّهِ وآياتِهِ، ويَتَّبِعُ ما وجدَ عليهِ الآباءَ مِنَ الدّين الباطِل، وكانَت تِلْكَ الحالُ مِنْهم تَقْتَضي أنَّه لا مُتَمَسَّك لَهُم؛ عَطَفَ عليهِ حالَ أضْدادِهِم وهُمُ المُنْقادونَ إلى شَرْعِ اللّهِ تَعالى، فقالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُسۡلِمۡ﴾: (سلم) تدُلُّ تَصْريفاتُه على الصِّحَّة والعافيَة، ومنهُ السَّلامةُ؛ وهو أن يَسْلَمَ المَرْءُ مِن عاهَةٍ أو أذًى[2]، وأسلَمَ أمرَهُ إلى اللّهِ تَعالى؛ انْقادَ وخَضَعَ لهُ، ومِن قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: مَنْ يَخْضَعْ لديهُ ويَنْقَدْ لهُ بفِعْلِ الشَّرائع مُخْلِصًا له دينَهُ[3].

2) ﴿مُحۡسِنٞ﴾: (حسن) يدلُّ على ضدِّ القُبْحِ[4]، والمَحاسِنُ مِنَ الأعمال: ضدُّ المَساوِئ، ومِنْهُ سُمّيتِ الجنَّةُ: الحُسْنَى؛ ضدُّ السّوأى وهي النّارُ[5].

والحَسَنُ: كُلُّ مُبْهِجٍ مرغوبٍ فيه، والحَسَنةُ يُعَبَّر بها عَن كُلّ ما يَسُرُّ مِن نعمةٍ تَنالُ العبدَ في نفسِه أو بدنِه ونحو ذلكَ، والسَّيِّئَةُ ضدُّها[6].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 188.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سلم).
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 650.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حسن).
(5) الخليل بن أحمد، العين: (حسن).
(6) الرّاغب، المفردات: (حسن).

والإحْسانُ: ضدُّ الإساءَةِ[1]، وحدُّ الإحسانِ شرعًا - كما قالَ النَّبيُّ ﷺ -: «أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَراهُ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ؛ فَإنَّهُ يَراكَ»[2].

وقولُ الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ معناه: أخْلَصَ في عِبادَةِ رَبِّه وعَمِلَ صالِحًا، وكانَ في ذلك مُحْسِنًا أي: موافِقًا الشَّرعَ؛ وذلك باتِّباع النَّبيِّ ﷺ [3].

3) ﴿بِٱلْعُرْوَةِ﴾: (عروى) تدُلُّ تَصريفاتُه على أصْلَيْن كُلِّيَّين؛ أحدُهما: الثَّبات والمُلازمَةُ، والآخَرُ: الخُلُوُّ والمُفارَقَة[4]، فمِنَ الأوَّلِ: العُرْوَةُ؛ وهوَ ما يُتَعَلَّقُ بهِ ويُتَمَسَّكُ بهِ بقَصْدِ النَّجاةِ؛ يُجْعَلُ كالحَلْقَةِ في طَرَفِ شَيْءٍ ليُقْبَضَ عَلى ذلكَ الشَّيْءِ مِنْهُ، فالعُرْوَةُ: مَوْضِعُ شَدِّ الأيْدي[5]، وتُطْلَقُ العُرْوَةُ على الشَّجَر الذي لا يزال باقيا في الأرْض لا يذهَبُ، وجَمْعُها: عُرًى[6].

والعُرْوَةُ الوُثْقى في الآيةِ: إخْلاصُ العَمَلِ للهِ تَعالى، وإحْسانُهُ بأنْ يَكونَ موافِقًا للشَّرْعِ؛ وهُما المذكورانِ في قولِهِ قَبْلُ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

4) ﴿عَقِبَةُ﴾: (عقب) تَدُلُّ اشتقاقاتُه على تَأخيرِ شَيْءٍ وإتْيانِه بَعْدَ غَيْرِه، وكُلُّ شَيْءٍ يَعْقُبُ آخَر فَهو عَقيبُهُ[7]، والعَقِبُ: مُؤَخَّرُ الرِّجل[8]، والعاقبَةُ آخِرُ الأمْر، وأثَرُ عمَلِ العامِل، فعاقِبَةُ كُلِّ أمرٍ ما يَنْجَلي عنهُ، ويَظْهَر في آخرِهِ مِن أثَرٍ ونَتيجةٍ[9].

والعاقِبَةُ والعُقْبَى لفظانِ مُخْتَصّان بالثَّوابِ عند الإطلاقِ، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: 128]، وبالتَّقْييد قَدْ يردُ في العُقوبَةِ أيضًا، كما قال اللهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الرّوم: 10]، وسُمّيَت بذلك؛ لأنَّها تَتْلو الذَّنْبَ[10].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (حسن).
(2) رواه البخاري في صحيحه (برقم: 50)، ومسلم في صحيحه (برقم: 9).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/ 385، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 62.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عروى).
(5) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 3/ 267.
(6) الأزهري، تهذيب اللغة: (عرى).
(7) الخليل بن أحمد، العين: (عقب)، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).
(8) الراغب، المفردات: (عقب).
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8أ/ 92.
(10) الراغب، المفردات: (عقب).

وعاقِبَةُ الأُمورِ في الآيةِ: مَرْجِعُها ومُنْتَهاها، فَيَحْكُم في عِبادِهِ، ويُجازيهِم بِما آلَت إلَيْهِ أعْمالُهُم[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّسْليمُ للهِ تَعالى سَبيلُ التَّمَسُّكِ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى

ومَن يُخْلِص عِبادَتَهُ للهِ ﷻ وقَصْدَه إلى رَبِّه تَعالى، وهو مُحْسِنٌ في أقْوالِه، مُتْقِن لِأعْمالِه، فَقَد أخَذَ بِأوثَقِ سَبَبٍ موصِلٍ إلى رِضْوانِ اللهِ وجَنَّته، وإلى اللهِ تَعالى وحْدَهُ تَصيرُ الأمورُ كُلُّها، فيُجازي المُحْسِنَ على إحْسانِه، والمُسيءَ على إساءَتِه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مَعْنى الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ﴾:

تَناسُبُ الجُمْلَتَيْنِ لَفْظًا ومَعْنًى

(الواوُ) في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ عاطفةٌ، عطفَتِ الجُمْلَةَ بعدَها على جملةِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[3]؛ إذِ الجُمْلَتان مُتَّفِقتانِ في الخبَريَّة، وبينَهُما مناسبَةٌ لفظيَّة وأُخْرى مَعْنَويَّةٌ، فأمّا اللَّفظيَّةُ فاشْتِراكُهُما في الاسميَّة، وأمّا المَعْنَويَّةُ فما بينَهُما مِنَ الجامِعِ الوَهْميِّ وهوَ التَّضادُّ؛ فإنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لَمّا بيَّنَ المُجادِلَ في توحيدِهِ بغَيْرِ علمٍ ولا هُدًى ولا كتابٍ مُنيرٍ، وذلك يَقْتَضي أنَّه لا مُتَمَسَّك لهُ؛ ذَكَر مَنْ يُسْلِمُ وجهَه إلى اللهِ تَعالى وهو مُحْسِنٌ ورتَّب عليهِ وصْفَهُ بالاسْتِمْساك بالعُرْوَةِ الوُثْقى[4].

مَعْنى (مَنْ) في قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ﴾:

المُسْتَمْسِكُ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى حَقًّا مَنْ داوَمَ عَلى إسْلامِ الوَجْهِ للهِ سُبْحانَهُ

(مَنْ) في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ اسمُ شرطٍ جازِمٌ في محلِّ رفع مبتدأ؛ لأنَّ الفعلَ بَعْدَهُ ﴿يُسْلِمْ﴾ متعدٍّ قد

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 650.
(2) نخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 413.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 176.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 188.

اسْتَوْفى مفعولَهُ، فتكون جُمْلَةُ ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ اسميَّةً، وهي مفيدَةٌ الثُّبوتَ والدَّوامَ، أي: أنَّ الذي يُسْلِمُ وجهَه إلى الله تعالى بالإخلاصِ والطّاعة على وجهِ الدّوام؛ هو المُسْتَمْسِكُ حقًّا بالعُرْوة الوُثْقى، واسمُ الشّرط دالٌّ على العموم؛ ليكونَ مُقابلًا للعموم في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾، وهذانِ العمومانِ دالّانِ على كلِّ فردٍ يتّصِفُ بالجدالِ ويتّصفُ بالتّسليمِ والخضوعِ.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِلفِعْلِ ﴿يُسْلِمْ﴾:

الفِعْلُ ﴿يُسْلِمْ﴾ من قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مجزومٌ بـ (مَنْ) الشَّرطيَّةِ على أنَّه فِعْلُ الشَّرْط، وجُمْلَةُ ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ في مَحَلِّ جزم جوابُ الشَّرط وجَزاؤُه، ففيهِ صِلَةٌ وتَرابُطٌ وثيقٌ بينَ الشَّرط والجزاءِ؛ فكُلُّ مُحَقِّقٍ لإسْلامِ الوَجْهِ إلى اللهِ تَعالى حالَ إحسانِهِ موصوفٌ بالتَّمَسُّك الشَّديد بالعُرْوة الوُثْقى.

كُـلُّ مُـسْـلِـمٍ الوَجْهَ للهِ تَعالى مُحْسِنٍ في عَمَلِهِ شَديدُ التَّمَسُّكِ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى

بلاغةُ الطِّباق:

اشتملَ النّظمُ الكريمُ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ المعطوفِ على قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ على صنعةِ الطّباق؛ وفُهِم منَ التّضادِّ بين الفريقينِ أنَّ الجدالَ المذمومَ هو الّذي لا يكونُ عن علمٍ ولا هدىً ولا كتابٍ مُنير، وأنَّ الإسلامَ الممدوح هو الّذي يكونُ عن علمٍ بالدّليل وهُدى بالأنبياءِ والصّالحين، واطّلاعٍ على الكتابِ المُنير.

الجدالُ المَمقوتُ والإسـلامُ المَمدوح

بَلاغَةُ الاستعارةِ التَّمْثيليّةِ في ﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾:

إسلامُ الوَجْهِ للهِ في قولِه سُبْحانَهُ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مُسْتعارٌ لِلقَصْدِ؛ لأنَّ القاصِدَ للشَّيءِ يكونُ مُسْتَقْبِلًا إيّاه بِوَجْهِه[1]، فيكونُ في الآيةِ تَمْثيلٌ لإفرادِ اللهِ تَعالى بالعبادةِ، وتسليمِ

تَـصْـويـرُ حـالِ المُـسْـلِـمِ وجْـهَـهُ إلى اللهِ سُبْحانَهُ

(1) ابن عطية، المحرر: 4/ 353.

الأُمورِ جميعِها إليه، والإقبالِ التّامِّ عليهِ سُبْحانَه، كأنَّه لا يُقْبِلُ بِوَجْهِه عَلى غيرِهِ تَعالى[1].

وهذا تَمْثيلٌ بديعٌ؛ إذْ صُوِّر الإقْبالُ المعنويُّ بتَسْليم الوَجْهِ للّه تَعالى وهو صورَةٌ مَحْسوسَةٌ بحسَبِ اللَّفْظِ، كأنَّ المُؤْمِنَ يُفَرِّغُ قلبَهُ وكُلَّ تَوَجُّهاته للّهِ ﷻ وحدَهُ، فَلا يَرى إلّا ما يُرْضيهِ ولا يَسْعى إلّا لِما أمَرَهُ بِهِ، فإنْ كان الكافرُ يُجادِلُ في اللّه ويُخاصِمُ الآياتِ؛ فإنَّ المؤمنَ بعدَما يرى الآياتِ لا يَسَعُهُ إلّا القَبول والرِّضا، فيُقبِلُ على اللّه تعالى بكلّيَّته ولا يكونُ الإقبالُ إلّا بالوجهِ، فيُسلِمُ قلبَهُ ويَخضَعُ لمولاهُ ويَعترِفُ بأنَّه الحقُّ سُبحانَه.

نُكْتَةُ التَعْديَةِ بِـ ﴿إِلَى﴾:

التَّسليمُ للهِ تَعالى كَمالُ الإخْلاصِ لَهُ والاِعْتِمادِ عليه

يُعَدّى الفعلُ ﴿يُسْلِمْ﴾ باللّام؛ لأنَّ المرادَ أنَّه جعَلَ وجْهَهُ وقَصْدَهُ خالِصًا للّهِ تَعالى، فَهو لا يوَجِّه نيَّتَه وعبادَتَهُ لأحَدٍ إلّا للّهِ سُبْحانَهُ، وهذا دالٌّ على الإخلاصِ التّامِّ في عبادةِ اللّهِ ﷻ.

بخلافِ تَعْديَةِ الفِعْلِ بـ ﴿إِلَى﴾ الواردِ في قول اللّهِ تَعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ فإنَّ المرادَ تسليمُ الذّاتِ إلى اللّهِ سُبْحانَه كَما يُسلِّمُ الشَّخصُ متاعًا أو أمانَةً لآخرَ، وفي هذا دِلالَةٌ عَلى الاعْتِمادِ الكامِلِ على اللّهِ ﷻ في الأمورِ كُلِّها[2].

فالتَّعديةُ باللّام تَعْبيرٌ عَنْ إخلاصِ النّيَّةِ والتَّوَجُّه، والتَّعديةُ بـ ﴿إِلَى﴾ تَعْبيرٌ عَنِ الثِّقة والتَّوكُّل والاعتمادِ الكلي؛ لأنَّ ﴿إِلَى﴾ لانتهاءِ الغاية، فتفيدُ كمالَ الإقبالِ وحطَّ الرِّحالِ عندَ ذي الجَلال، وبهذا التّسليم والإذعانِ تحصُلُ الرّاحةُ الرّوحيّةُ والسَّعادةُ الأبديَّة، في حينِ يَقضي المجادلُ حياتَه بالإرهاقِ النَّفسيِّ والألمِ القلبيِّ.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 94، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 176.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 499 - 500.

مَعْنى الواوِ في: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾:

التَّلازُمُ بَيْنَ إخْلاصِ القَصْدِ وإحْسانِ العَمَلِ

الواوُ في ﴿وَهُوَ﴾ من قول الله تَعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ للحال، والجملةُ بعدَها في محلِّ نصبٍ حالٌ[1]، وفيه إيماءٌ إلى التَّلازم بينَ إخْلاصِ القَصْدِ للّهِ تَعالى وبينَ إحْسانِ العمَلِ عَلى وفْقِ الشَّريعة؛ لأنَّ الأصلَ في الحالِ أن يُقارِنَ عامِلَهُ في الزَّمَن، وبذكرِ العمَل حالًا منَ الإيمانِ دليلٌ على أنّ كمالَ الإيمانِ بإردافِهِ بالعملِ الصّالح، وإنْ كان المُجادِلُ المكذِّبُ مُتّبِعًا في أعمالِهِ لآبائِهِ الَّذين لم ينفكَّ الشّيطانُ عن إضلالِهم؛ فإنَّ المؤمن باللّه تعالى قد أتبعَ إيمانَه بما يجعلُهُ متَّصِفًا بالإحسانِ منَ الأعمالِ الطيِّبةِ، والخِلالِ الجميلةِ والخِصالِ الحَميدة.

فائِدَةُ التَقْييدِ بالحال:

وُجوبُ الجَمْعِ بَيْنَ إتْقانِ الباطِنِ والظّاهِرِ

قُيِّد إسلامُ الوجهِ للّه بـ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ للدّلالةِ عَلى الجَمْعِ بينَ إتْقانِ الباطِن والظّاهر؛ فكما أتْقَن باطِنَهُ بإخْلاصِ القَصْدِ للّه سُبْحانَهُ؛ فَهو قَد أتْقَن ظاهِرَهُ بإحْسانِ العمَل عَلى وفْقِ الشَّرْعِ المُنَزَّل[2]، وفي توصيفِ صاحبِ العملِ بـ﴿مُحْسِنٌ﴾ وهو اسمُ فاعلٍ منَ الفعل (أحسنَ) إشارةٌ إلى أنَّ المؤمنَ الحقَّ هو الَّذي يكونُ عملُهُ موصِلًا له إلى درجةِ الإحسان، سواءٌ كانَ إحسانُهُ لنفسِهِ أو لغيرِه، فالمؤمنُ خاضعٌ لمولاه مُحسِنٌ لنفسِهِ ولغيره، فهو سعيدٌ بخضوعِهِ مُحسِنٌ بأعمالِه.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالجُمْلَةِ الاسْميَّةِ:

لُزومُ المُداوَمَةِ عَلى الإخْلاصِ للّهِ تَعالى والمُتابَعَةِ لِلشَّرْعِ في كُلِّ عَمَلٍ

الجُمْلةُ الحاليَّة: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ جملةٌ اسْميَّةٌ، وجاءَ التَّعبيرُ بِها للدّلالةِ عَلى الثُّبوت واللُّزوم، فالإحْسانُ - وهو موافقةُ الشَّرع - لازِمٌ لِكُلِّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 189.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 189.

عمَلٍ يَعْمَلُهُ مَن أسلَمَ للّه تَعالى، فيكونُ الإخْلاصُ والمُتابعةُ مُلازِمَيْن لِكُلِّ أعْماله، كما أسهمَ تنكيرُ (الخبر) في بيانِ كمالِ إحسانِهِ وشدَّته، وتعدُّدِ صُوَرِ الإحسانِ فيه حتى لا تخلوَ حركةٌ من حركاتِهِ عن سِمةِ الإحسانِ والحُسنِ والجمال.

مَعْنى الفاءِ في ﴿فَقَدِ﴾:

تَعْجيلُ الجَزاءِ الحَسَنِ عَلى العَمَلِ الصّالِحِ

الفاءُ في ﴿فَقَدِ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ رابِطَةٌ لجوابِ الشَّرط، وهيَ مفيدةٌ تحقُّقَ الجَواب بوُجود شَرْطِه، كما أنَّ في (الفاءِ) دِلالةً على التَّعْقيب؛ فتَلَبُّسُ العَبْدِ بالإخْلاصِ والإحْسانِ؛ يترَتَّب عليه جَزاؤُهُ مِن اسْتِمْساكِهِ بالعُرْوَةِ الوُثْقى مِن غَيْرِ مُهلةٍ بَيْنَهُما، ودلّ جوابُ الشّرط هنا على مفهوم جوابِ الشَّرطِ المحذوفِ في قوله قبلُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾.

نُكْتَةُ التَّوْكيدِ بِـ (قَدْ):

تَعْزيزُ الطُّمَأنينَةِ في قَلْبِ المؤْمِنِ

أُكِّد قولُ اللّه سُبْحانَه: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ بـ (قَدْ)؛ للدّلالة عَلى تحقُّق الجزاءِ، ويُقَوّي ذلكَ التَّعبيرُ بالفِعْلِ الماضي ﴿ٱسْتَمْسَكَ﴾، وذلكَ مُفيدٌ أنَّ الاسْتِمْساكَ بالعُرْوة الوُثْقى أمْرٌ مُحَقَّق وثابتٌ، وهذا يَقْتَضي تعزيزَ الطُّمَأنينَةِ في قَلْبِ المُؤْمِن المُسْلِم وجْهَهُ إلى اللّه تَعالى، ولا نَنْسى أنَّ الإخبارَ بذلك قد يتردّدُ الذهنُ في قبولِهِ، فأردفَهُ بالتّوكيدِ المُحقِّقِ له المُزيلِ الشّكَّ عنه.

دِلالَةُ السّينِ والتّاءِ في ﴿ٱسْتَمْسَكَ﴾:

قـوَّةُ التَّمَسُّكِ والثَّباتُ عليه

جاءَ التَّعبيرُ بالفِعْلِ ﴿ٱسْتَمْسَكَ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ دون (مَسَكَ)؛ للدّلالَةِ عَلى الإمْساكِ بغايَةِ ما يُقْدَرُ عليه مِنَ القوّة[1]، وذلكَ يَقْتَضي ثباتَ ذَلكَ الإمْساكِ ورُسوخَهُ واسْتِمْرارَهُ، وتنبئُ الصّيغةُ عن أنّ التّمسُّكَ بالحقِّ يحتاجُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 189.

إلى مبالغةٍ ومجاهدةٍ مُستمرَّةٍ للنّفس وأهوائها والشّيطانِ وإغوائِه، وما ذاك الاستمساكُ إلّا بالمواجهاتِ معَ المُكذِّبينَ المُناوئينَ للحقِّ المُجادلينَ في الآياتِ.

مَعْنى الباءِ في ﴿بِٱلْعُرْوَةِ﴾:

ارْتِباطُ المُؤْمِنِ بِالعُرْوَةِ الوُثْقى لا انْفِكاكَ لَهُ

(الباءُ) في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ تَدُلُّ على الإلْصاق، فَهيَ تُفيدُ الاتِّصالَ الشَّديد والتَّمسُّك الرّاسخَ، كأنَّ المُؤْمِنَ قَدِ ارْتَبَطَ بالعُرْوَة الوُثْقى برباطٍ لا يَنْفَصِمُ، واتَّحد بها اتِّحادًا لا انْفِكاكَ فيه.

دِلالَةُ وصْفِ (العُرْوَةِ) بِـ ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾:

ثَباتُ العُرْوَةِ الوُثْقى ومَتانَتُها

في وصْفِ (العُرْوة) بِكَوْنِها (وُثْقى) في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ دِلالَةٌ عَلى غايَةِ دَرَجاتِ القوَّة والثَّبات؛ إذِ الوُثْقى تأنيثُ الأوثَق، وذلكَ يَقْتَضي قوَّةً شديدَةً وإحْكامًا مَتينًا، فَهيَ عُرْوَةٌ لا يَتَأتّى مِنْها انْقِطاعٌ أو ضَعْفٌ، وإذا كانَت العُرْوةُ قَويَّة مُحْكمةً في نفسِها، فذلكَ يدُلُّ على أنَّ المُتَمسِّك بها مُتَمَسِّكٌ بِأمْرٍ ثابتٍ لا يَزولُ ولا يَتَهاوى، فـ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾ اسمُ تفضيلٍ جاءَ على غيرِ بابه، إذ ليس هنالكَ عُروةٌ في غيرِه، فضلًا عن أنْ تكونَ وثيقةً، أي: فهي العروةُ الوثيقةُ المتينةُ، وما عداها ليس بعُروة أصلًا، أو أنَّ إسلامَ الوجه وحدَهُ عُروةٌ، واستصحابَ العملِ الصّالحِ يجعلُها وُثقى مَتينةً؛ بقي أنَّ إسنادَ الوثاقةِ والمتانةِ للعُروة مجازٌ عقليٌّ علاقتُهُ المفعوليَّةُ، فهي موثوقةٌ محكمةٌ من صاحبِها وليست مَتينةً في نفسِها؛ إلّا أنّه تُجُوِّزَ فيها فأُسندت الوثاقةُ للعروةِ نفسِها.

بَلاغَةُ الِاسْتِعارَةِ التَّمْثيليَّةِ:

الإخْلاصُ والإحْسانُ يُوصِلانِ صاحِبَهُما إلى دُخولِ الجَنَّةِ

في قولِ اللّه ﷻ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ استعارةٌ تَمْثيليَّة؛ إذْ مُثِّل حالُ مَن أسْلَم وجهَهُ إلى اللّهِ سُبْحانَه بحالِ مَن كانَ في بِئْرٍ أو أرادَ أنْ يَرْقى شاهقًا؛ فدَلّى لهُ صاحِبُهُ حَبْلًا ذا عُرًى،

فأَخَذَ الرَّجُلُ بأوثَقِها، فهو يَعْلو بهِ إذا جَرَّه صاحبُه مِن غيرِ انْفصام؛ لأنَّ ما يُتَمَسَّك بهِ في غايةِ الإحْكام، فَيَصِلُ بذلكَ إلى مُبْتَغاهُ، وكذلكَ مَن أخْلَص وجهَهُ للهِ تَعالى وأحْسَنَ العملَ على وفْقِ الشَّرْعِ المُنَزَّل؛ فإنَّه لا يَزال يَسيرُ إلى اللهِ تَعالى مُسْتَمْسِكًا بأقْوى سبَبٍ يوصِلُه إلى الغايةِ في الدّار الآخرةِ بدُخولِ الجَنَّة[1].

بَلاغَةُ المُقابَلَة:

قولُ اللهِ تَعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ مقابِلٌ لِقَوْلِه سُبْحانَهُ قبلُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ... ﴿يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾، فذَكَرَ اللهُ ﷻ مَنِ اتَّبع ما وجَدَ عليهِ الآباءَ مِنَ الشِّرك على غَيْرِ بَصيرَةٍ، فَوَقَعوا في العذابِ المُهين، وذكَر بَعْدَهُم مَن أسلَمَ وجْهَهُ للهِ تَعالى بانْقيادِهم وإخْلاصِهم للهِ سُبْحانَهُ معَ إحْسانِ العَمَلِ عَلى وفْقِ الشَّريعة، فاسْتَحَقّوا النَّعيمَ المقيم، والأوَّلون تَمَسَّكوا بالأوهامِ إرْضاءً للأهْواءِ، والآخرون اسْتَمْسَكوا بالحَقِّ إرضاءً للهِ تَعالى[2].

النّاسُ صِنْفانِ مُتَمَسِّكٌ بِالأوهامِ ومُسْتَمْسِكٌ بِالحَقِّ

ونلحظُ ظاهرةَ (الاحتباك) بينَ صورةِ المكذِّب المُجادلِ وصورةِ المؤمنِ الصّالح؛ فقد ذكر أنَّ جدالَ الكافرين يقومُ على عدمِ العلم والهُدى والكتابِ المُنير، وحذفَهُ منَ الثّاني الَّذي يكون إسلامُ وجهِهِ للهِ عن علمٍ وهُدىً وكتابٍ منير، وذكرَ في الثّاني أنَّ المسلمَ وجهَهُ للهِ العاملَ الصّالحاتِ متمسِّكٌ بالعُروةِ الوُثقى، وحذفَ ذلك منَ الأوّل الذي فُهِم منه أنَّه مُتمسِّكٌ بالوَهمِ والظُّنونِ الفارغةِ والأفكارِ المَريضة.

مَعْنى الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾:

الواوُ في ﴿وَإِلَى﴾ من قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ عاطفةٌ الجُمْلَةَ بعدَها عَلى جُمْلَةِ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ لِما بينَهُما

الوَعْدُ بِالكَرامَةِ في الدّارِ الآخِرَةِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 189، والقنوجي، فتح البيان: 10/ 294.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 176.

مِنَ الاتّفاق في الخبَريَّة، وبينَهُما مناسبَةٌ لفظيَّة وأُخرى مَعْنَويَّة، فأمّا اللَّفظيَّةُ فاشْتراكُهُما في الاسميَّة، وأمّا المَعْنَويَّةُ فما بينَهُما مِنَ ذِكْرِ نَيْلِ الكَرامَةِ؛ ففي الأولى ذِكْرُ اسْتِمْساكِهِم بالعُرْوَةِ الوُثْقى، وفي الثّانيةِ ذِكْرُ رجوعِ الأمورِ إلى اللّه تَعالى، وذلكَ يَقْتَضي وعْدَهُم بلِقاءِ الكرامةِ عندَ اللّهِ سُبحانَهُ في آخرِ أمْرِهِم وهو الدّار الآخِرَةُ[1]، وبذلك تكتملُ المقابلةُ مع عاقبةِ المُجادلينَ الّتي كانت دعوةً شيطانيةً إلى عذابِ السَّعير، في حين أنَّ عاقبةَ الأمورِ للّه تعالى، وما عاقبةُ المخلصينَ إلّا جنّاتُ النَّعيم.

نُكْتَةُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ (إلى اللّهِ):

مَصيرُ الأُمورِ إلى اللهِ تَعالى وحْدَهُ

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ (إلى اللّهِ) مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ لإرادَةِ الاهْتِمامِ بالمُقدَّمِ والتَّنبيهِ على أنَّ الرّاجِعَ إليهِ سُبْحانَهُ يُلاقي جَزاءَهُ وافيًا[2].

وفي التَّقديمِ أيضًا مَعنى القَصْرِ؛ أيْ: إنَّ مصيرَ الأُمورِ إلى اللّهِ سُبْحانَهُ وحدَهُ دونَ ما سِواهُ[3].

مَعْنى (أل) في ﴿ٱلْأُمُورِ﴾:

مُجازاةُ اللهِ سُبْحانَهُ أهْلَ الإسْلامِ الجَزاءَ الأوفى

اللّامُ في ﴿ٱلْأُمُورِ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ يُراد بها الاسْتِغْراقُ والعُموم، أي: إنَّ جميعَ الأمورِ مَوْكولةٌ نهاياتُها إلى اللّهِ سُبْحانَهُ، ومِنْها: أُمورُ المُسْلمين؛ فيُجازيهِم اللّهُ خيرًا عظيمًا بما يُلائِمُ عظمَةَ المُجازي سُبْحانَهُ[4].

بَلاغَةُ الإيماءِ والتَّعْريضِ:

التَّعْريضُ بأهْلِ الباطِلِ وأنَّ لَهُمُ الخِزْيَ والهَوانَ

خُتِمَتِ الآيةُ الكَريمةُ بقَوْلِه سُبْحانَهُ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾، وهذا تَذْييلٌ جارٍ مَجْرى المَثَل؛ لاسْتِقْلالِهِ بِنَفْسِهِ وعَدَم افْتِقارِهِ إلى ما قبلَهُ في كَشْفِ تمامِ المُراد منه.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 177.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 177.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 189، والقِنَّوجي، فتح البيان: 10/ 294.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 177.

وجُمْلَةُ التَّذييل فيها إيماءٌ بوَعْدِ اللّهِ تعالى للمُسْلِم وجهَهُ لَهُ المُحْسِنِ في عملهِ بأنَّ له كرامةً عظيمةً عند اللّه سُبْحانَهُ في الدّار الآخرة[1]، وفيها تعريضٌ بالمُجادِلينَ في توحيدِ اللّه تعالى بغَيْرِ عِلْمٍ بأنَّ لَهُمُ الخزيَ والهوانَ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العاقِبَة والمَرْجِع والمَصير:

المَرْجِعُ: انْقِلابُ الشَّيء إلى حالٍ قد كانَ عَلَيْها، بخلافِ المَصيرِ فَهو انْقِلابُ الشَّيء إلى خِلافِ الحالِ التي هو عَلَيْها، نَحْوُ قولِهم: صارَ الطّينُ خَزَفًا، ولا يُقال: رجَعَ الطّينُ خَزَفًا؛ لأنَّه لَم يَكُنْ قبلُ خَزَفًا.

العاقِبَةُ عِنْدَ الإطْلاقِ مُخْتَصَّةٌ بِالخَيْرِ

ولا يَتَنافى هَذا معَ قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨﴾ [الصافات: 67 - 68] مع أنَّهُم لَم يَكونوا قبلُ في الجَحيم حتّى يُقال: رَجَعوا إليها؛ لأنَّنا نقول: إنَّه رويَ أنَّ أهلَ النّار يورَدونَ الحَميمَ لِشُرْبِه كَما توردُ الإبِلُ الماءَ، ثُمَّ يُرَدّون إليها، كَما يَدُلُّ لذلكَ قَوْلُ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤﴾ [الرحمن: 44][2].

وأمّا العاقبةُ؛ فَهي نتيجَةُ أفعالٍ مُتَقَدِّمةٍ، سواءٌ أكانت خيرًا أم شَرًّا، إلّا أنَّ العاقِبَةَ تَخْتَصُّ بالخيرِ عِنْدَ الإطْلاقِ، وأمّا إذا قُيِّدت فَهيَ بحسَبِ ما تُقَيَّدُ بِهِ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 177.
(2) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 492.
(3) الراغب، المفردات: (عقب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»